مجلة المنهل ـ المجلد: 07، العدد: 01 (2021م) ـ ص ص 253 – 264
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

منهج تحصيل الأخلاق عند ابن رشد الحفيد وبديع الزمان سعيد النورسي
ـ دراسة مقارنة ـ

The methodology of attaining ethics according to Ibn Rushd, the grandson and Badi` al-Zaman, Saeed Al-Nursi:

- A comparative study-.

د. كمال امساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة القاضي عياض– مراكش (المغرب)
Kamalmsaad80@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/02/28	2021/04/19	2021/06/30

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

إن الأخلاق أساس سعادة البشر وسلامتهم ومتى فقدت حل الشقاء والتصارع والانهيار والدمار، ومن هنا جاءت الأديان لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملة كافة المداخل والوسائل: الإيمانية والتعليمية، والتربوية والتشريعية، الدنيوية والأخروية؛ فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه، إنما هو أخلاق وتخليق.

وإذا كانت الأخلاق عبارة عن الخصال النفسية المعبر عنها بواسطة السلوك العملي المستمر، فلا بد في الأخلاق من تحقق هذين الجانبين الجانب النفسي والجانب العملي؛ الجانب النفسي: يتضمن الرسوخ الباطني للخلق والاقتناع بقيمته وفائدته، الجانب العملي: هو الترجمة والثمرة الفعلية للإيمان بالخلق ومحبته والرغبة فيه.

ولهذا اختلفت أساليب ومناهج علماء الإسلام في تحصيل الأخلاق إن على مستوى الفرد أو المجتمع، مع وعيهم العميق بقيمة الأخلاق ودورها في إصلاح المجتمع، ومن بين هؤلاء: الإمام أحمد بن عبد الله ابن رشد الأندلسي (1198 م/595هـ) والإمام بديع الزمان سعيد النورسي (1960م/1379هـ).

اهتم الأول بالجانب العملي التشريعي في تحصيل الأخلاق، واهتم الثاني بالجانب النفسي التربوي، تتناول هذه الورقة بالبحث تجليات هذين الأسلوبين في كتابات الإمامين مع مقارنة بينهما.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ الأخلاق؛ ابن رشد؛ النورسي؛ مقارنة.

Abstract:

Morals are the basis of human happiness and safety, Hence religions have come to promote, develop, advance, and protect morals, using all approaches and means: faith, education, legislative, secular and eschatological.

Morals are psychological qualities expressed through continuous practical behavior. In morals it is necessary to fulfill these two aspects, the psychological aspect and the practical side. The psychological aspect: includes the inner firmness of Moral and the conviction of its value, the practical aspect: it is the translation and the actual fruit of faith in creation.

That is why the methods and approaches of Islamic scholars differed in achieving ethics at the level of the individual or society, with their deep awareness of the value of morals and their role in reforming society. Among these are Imam Ahmad Ibn Rushd (1198 AD / 595 AH) and Imam Badii Al-Zaman Said (1960 AD/1379 AH).

The first is concerned with the legislative practical aspect in the collection of ethics, and the second is concerned with the educational psychological aspect. This paper deals with researching the manifestations of these two methods in the writings of the two imams, With a comparison between them.

Keywords:

Methodology; ethics; Ibn Rushd; Nursi; Comparison.

1. مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، إن الأخلاق أساس سعادة البشر وسلامتهم، ومتى فقدت حل الشقاء والتصارع والانهيار والدمار. ومن هنا جاءت الأديان لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملة كافة المداخل والوسائل؛ الإيمانية والتعليمية، والتربوية والتشريعية، الدنيوية والأخروية.

فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه، إنما هو أخلاق وتخليق. وهذا ما أجمله ﷺ في قوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» (الأدب المفرد، البخاري، 1996م، رقم (273) (الدين، 1995، صفحة 75/1). فجعل المقصد الأعلى والهدف الأسمى من بعثته إنما هو الأخلاق "مع أن بعثته بالتوحيد، والعبادات، والمعاملات وغير ذلك مما يجعل الأخلاق هي البعثة" (الشنقيطي، 1971، صفحة 216/8).

وعندما أثنى الخالق علي نبيه ومصطفاه وخير خلقه قال سبحانه: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ (القلم، الآية: 4)، فأخذ الصحابة يسألون عن هذا الخلق النبوي العظيم وفيما يتمثل؟ وكان من الإجابات الجامعة التي تلقوها؛ جواب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ قالت: «**كان خلقه القران**» (الحجاج، 1999، صفحة 513/1) أي إن خلقه العظيم إنما التخلق بأخلاق القران، والتأدب بآدابه والتقيد بأحكامه.

وإذا كانت الأخلاق عبارة عن الخصال النفسية المعبر عنها بواسطة السلوك العملي المستمر، فلا بد في الأخلاق من تحقق هذين الجانبين الجانب النفسي والجانب العملي.

- الجانب النفسي: يتضمن الرسوخ الباطني للخلق والاقتناع بقيمته وفائدته.
- الجانب العملي: هو الترجمة والثمرة الفعلية للإيمان بالخلق ومحبته والرغبة فيه (الريسوني، 2010، صفحة 93).

ولهذا اختلفت أساليب أو مناهج علماء الإسلام في تحصيل الأخلاق إن على مستوى الفرد أو المجتمع، مع وعيهم العميق بقيمة الأخلاق ودورها في إصلاح المجتمع، ومن بين هؤلاء الإمام محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي (1198م/595هـ) والإمام بديع الزمان سعيد النورسي (1960م/1379هـ).

اهتم الأول بالجانب العملي التشريعي في تحصيل الأخلاق، واهتم الثاني بالجانب النفسي التربوي؛ فكيف قارب الرجلان موضوع الأخلاق؟

- ماهي منطلقاتهما وبواعثهما للدعوة إلى الأخلاق؟
- وماهي سمات منهج كل منهما لتحصيل الأخلاق؟

2. منطلقات الدعوة إلى الأخلاق.

1.2. عند ابن رشد.

لم يكن ابن رشد في جميع تصانيفه العلمية والفقهية والأدبية سوى مفكر عظيم يوجه جميع طاقاته وجهة إنسانية رفيعة، هدفها الأسمى تنمية الفضائل والأخلاق لدى أفراد الأمة، وتربية مجتمع إسلامي قوي أقرب إلى السلامة والسعادة (الحريري، 2007، صفحة 82).

يؤكد ابن رشد رحمه الله أن الفضيلة هي التي تجعل الفرد والمجتمع فاضلا في علاقة مترابطة بينهما، يقول: "وبالجملة فنسبة هذه الفضائل في أجزاء المدينة هي كنسبة القوى النفسانية في أجزاء النفس، فتكون هذه المدينة حكيمة في جزئها النظري الذي به تسود جميع أجزائها، على النحو الذي يكون به الإنسان حكيما بجزئه الناطق الذي يسود به على قواه النفسانية الأخرى" (رشد، الضروري في السياسة، 1998، صفحة 72).

كما اعتبر أن الأخلاق والفضيلة ضرب من الصحة والجمال وأن غيابها على مستوى النفس والمجتمع نوع من المرض. يقول: "ولذلك فالفضيلة ضرب الصحة والجمال، والرذيلة ضرب من المرض؛ وكما أن الصحة واحدة بالنوع، فكذلك الفضيلة... أما الرذائل فهي متعددة ومختلفة، كما أن الأمراض هي أيضا متعددة ومختلفة...." (رشد، الضروري في السياسة، 1998، صفحة 123). وكلامه في هذا الباب أكثر من أن يحصى أو يستقصى.

2.2. عند النورسي.

الرؤية نفسها للأخلاق نجدها في العديد من رسائل الإمام النورسي؛ يعزو فيها سبب وهن وضعف الأمة الإسلامية في زمانه إلى تخلّيها عن التحلي بالأخلاق والفضائل، يقول رحمه الله: "لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواج بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 494).

وفي هذا المعني يضرب مثلا بما قام به النبي ﷺ من إصلاح للواقع القبلي المظلم زمان البعثة؛ واقع العصبية والعادات البدائية والوحشية، كل ذلك كان بفضل الأخلاق والتخلق؛ يقول الإمام النورسي رحمه الله: "ألا ترى هذه الأقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الشاسعة المتعصبين لعادتهم المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، كيف رفع هذا الشخص جميع أخلاقهم السيئة البدائية وقلعها في زمان قليل دفعة واحدة. وجهزهم بأخلاق عالية، فصيرهم معلمي العالم الإنساني وأساتذة الأمم المتمدنة" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 258). كما يعتبر أن الأخلاق هي سبيل العزة والرفعة؛ يقول: "ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق وتجمعها وإحاطتها توليد عزة النفس التي تولد شرفا ووقارا يترفعان عن سفاسف الأمور، كترفع الملائكة وتنزههم عن الاختلاط بالشياطين" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 143).

وعموما فالإمام النورسي كما ابن رشد يعتبران الأخلاق سبيل السعادة والحياة يقول ابن رشد رحمه الله :"إن الإنسان لا حياة له في هذه الدار إلا بالصنائع العملية، ولا حياة له في هذه الدار ولا في الدار الآخرة إلا بالفضائل النظرية، وأنه لا واحد من هذين يتم، ولا يبلغ إليه إلا بالفضائل الخلقية، وأن الفضائل الخلقية لا تتمكن إلا بمعرفة الله تعالى وتعظيمه بالعبادات المشروعة" (رشد، تهافت التهافت، 2001،

صفحة 555). وفي هذا المعنى يقول الإمام النورسي رحمه الله: "لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعا ولا أمان مطلقا إذ تتغلب عندئذ الأخلاق الفاسدة والصفات الذميمة" (سعيد، الخطبة الشامية، 2001، صفحة 71).

من خلال ما سبق نخلص إلى أن كلا العَلَمين ينطلق من منطلق واحد للدعوة إلى تحصيل الأخلاق على مستوى الفرد والمجتمع؛ وهو تأكيدهم على كونها ضرورة مجتمعية تخلق التوازن بين مكوناته وكذلك بين مكونات النفس البشرية، وأن التحلي بالأخلاق الفاضلة هو سبيل رفعة الأمة الإسلامية وعزتها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخرة. وأن غيابها يفسح المجال أمام الرذيلة والأمراض والفساد والإفساد.

3. منهج تحصيل الأخلاق عند ابن رشد والنورسي.

سبق أن قررت أن الدين الإسلامي كباقي الأديان جاء لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملا كافة المداخل والوسائل الإيمانية والتعليمية والتربوية والتشريعية.

وبعد التأمل والنظر لاحظت أن الإمام ابن رشد رحمه الله ركز على الوسائل التشريعية لإكساب واكتساب الأخلاق، أما الإمام النورسي رحمه الله فقد جنح إلى الأسلوب الإيماني التعليمي التربوي، وفيما يلي تناول مختصر للطرحين.

1.3. المنهج التشريعي لتحصيل الأخلاق عند ابن رشد.

لا يختلف اثنان على أن التشريع الإسلامي جاء فيما جاء له لتحقيق سعادة البشر وذلك بجعل الأخلاق هي المرجع والمصدر والميزان في حياة المسلم، يقول أحمد الريسوني: "فالتشريع الإسلامي، بفرائضه ومحرماته، ومندوباته ومكروهاته وآدابه ومستحباته، إنما هو تقنين وتصريف عملي للأخلاق والقيم الأخلاقية. فالمكلف في أفعاله وتصرفاته ونياته وعباداته وعلاقاته ومعاملاته، في ظواهره وبواطنه، وكذلك الفقيه والمفتي والواعظ والمربي والقاضي والوالي، كل هؤلاء وفي كل ما يصدر عنهم لأنفسهم أو لآحاد الناس، أو لعمومهم يجب أن تكون الأخلاق مرجعهم و ميزانهم" (الريسوني، 2010، صفحة 103).

وقد جسد ابن رشد كل ذلك بهذه العبارة الجامعة : "إن السنن المشروعة العلمية المقصود منها هو الفضائل النفسانية " (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، صفحة 509/2). ومعنى هذا أن القارئ لكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" سوف يجد أن ما أجمله ابن رشد في نهاية كتابه هذا، حاضر في كل باب باب، خاصة ونحن نعلم أنه قد حدد لكل باب ما يناسبه من الفضائل: ففضيلة العدل تناسب الأموال والجنايات، وفضيلة العفة تناسب المناكح والمطعم والمشرب، وفضيلة السخاء والبعد عن رذيلة البخل تناسب الزكاة والصدقات (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، صفحة 508/2).

بل سوف نجد أن للقاعدة الخلقية تأثيرا في تأويل بعض النصوص (إدريس، 2007م، صفحة 143). كما كان للمقصد الخلقي أثر واضح في الترجيح الفقهي عند فقيهنا وهو يعرض آراء الفقهاء واختلافاتهم ويناقشها ويوازن بينها. ومن أمثلة ذلك:

جاء في "بداية المجتهد" في وجوب إزالة النجاسة: "إن من فرق بين العبادة المعقولة المعنى، وبين الغير معقولة –أعني أنه جعل الغير معقولة آكد في باب الوجوب– فرق بين الأمر الوارد في الطهارة من الحدث، وبين الأمر الوارد في الطهارة من النجس، لأن الطهارة من النجس معلوم أن القصد بها النظافة، وذلك من محاسن الأخلاق، وأما الطهارة من الحدث فغير معقولة المعنى" (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، الصفحات 88/1-89).

– مناقشة ابن رشد اختلاف الفقهاء في مسألة" متى تكون المرأة أم ولد" وقوله بعد ذلك رحمه الله: "وأما متى تكون أم ولد؟ فإنهم اتفقوا على أنها تكون أم ولد إذا ملكها قبل حملها منه، واختلفوا إذا ملكها وهي حامل منه أو بعد أن ولدت منه: فقال مالك: لا تكون أم ولد إذا ولدت قبل أن يملكها ثم ملكها وولدها. وقال أبو حنيفة: تكون أم ولد. واختلف قول مالك إذا ملكها وهي حامل، **والقياس أن تكون أم ولد في جميع الأحوال، إذ ليس من مكارم الأخلاق أن يبيع المرأة أم ولده، وقد قال** ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»" (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، صفحة 696/2).

– أيضا في اختلاف الفقهاء في مسألة "في كون النية شرط في صحة الوضوء أم لا؟" ذكر أن سبب اختلافهم: "تردد الوضوء بين أن يكون عبادة محضة، أعني: غير معقولة المعنى، وإنما يقصد بها القربة فقط كالصلاة وغيرها، وبين أن يكون عبادة معقولة المعنى كغسل النجاسة؛ فإنهم لايختلفون أن

العبادة المحضة مفتقرة إلى النية، والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة إلى النية، والوضوء فيه شبه من العبادتين ولذلك وقع الاختلاف فيه **وذلك أنه يجمع بين عبادة ونظافة، والفقه أن ينظر بأيهما أقوى فيلحق به**" (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، صفحة 1/ 24).

يتضح مما سبق أن ابن رشد جعل الأحكام الفقهية العملية خادمة للأخلاق من أجل تحصيلها و ترسيخها في نفس المسلم.

3.2. المنهج التربوي لتحصيل الأخلاق عند الإمام النورسي .

لقد خلق الله البشر وفطرهم على حب الخير وحب الأخلاق الفاضلة لكنهم متفاوتون في هذه المنة الربانية، كما أن الأخلاق منها ما هو فطري ومنها ما هو اكتسابي، ولذلك فمن واجب كل فرد الحرص على الأخلاق الفاضلة في نفسه وتربيتها عليها. والإمام النورسي يؤكد في كل ما قاله في رسائل النور على أهمية التربية الخلقية كوسيلة لتحصيل وزرع الأخلاق يظهر ذلك أولا عندما عرف الأخلاق بقوله: "هي نظام القران الذي يطبع الروح الإنسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة، لاكتساب معناها الكوني (مؤلفين، 2004، صفحة 206). كما يؤكد هذا المعنى بقوله: "نشوء الحسّيات العالية، ونمو الأخلاق إنما هو بالمجاهدة" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 207). وهذه التربية يجب أن تنطلق من القرآن الكريم كأهم مصدر للأخلاق ثم السيرة النبوية كأوضح تجسيد لأخلاق القرآن الكريم.

- **القران الكريم**:

يعتبر الإمام النورسي أن الغاية والمقصد الأسمى لخلق الإنسان هو التحلي بالأخلاق الإلهية يقول رحمه الله: "إن الغاية القصوى للإنسانية، والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية؛ أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة التي يأمر بها الله تعالى" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 642). وذلك في كتابه العزيز الذي تنطق آياته بأخلاق وفضائل أكثر وأوسع من أن تقع تحت الحصر يقول رحمه الله: "لا تجد في القرآن آية إلا وتوحي بمحبة شديدة لله ... وفيه حث كبير على الفضيلة ... ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة المملوءة حكمة ورشدا لإثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن..." (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 272).

- **السيرة النبوية**:

إن النبي ﷺ من شهد له ربه بالخلق العظيم، هو أعظم من جسد الأخلاق القرآنية؛ فوصفته زوجته عائشة رضي الله عنها بقولها «**كان خلقه القران**» وهكذا كانت سيرته العطرة سيرة أخلاق وفضيلة وخصال عالية. وجب تربية كل مسلم علي التخليق بأخلاقه والاقتداء بسيرته ﷺ، قال سبحانه: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ (الأحزاب، الآية: 21). ومن الإشارات المشرقة للإمام النورسي في هذا الصدد قوله: "إن محمدا هو المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن، وهو أفضل من تمثلت فيه تلك المحاسن بل إنه خلق فطرة على تلك المحاسن ... ومادام هو أكمل إنسان، بل هو أكمل قدوة ومرشد...فلابد أن سنة هذا النبي الكريم وحركاته هي أفضل نموذج لاقتداء، وأكمل مرشد للاتباع والسلوك وأحكم دستور، وأعظم قانون، يتخذه المسلم أساسا في تنظيم حياته ..." (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 95).

ومما سبق يمكن القول:

إن منهجي ابن رشد والنورسي في تحصيل الأخلاق يشكلان بناء متكاملا ونظرة شمولية لتحصيل الأخلاق في نفس المسلم فردا أو مجتمعا؛ أكد الأول على الجانب التشريعي فربط أعمال المكلف وأحكام الشريعة بالأخلاق والفضيلة وجعل الأولى خادمة للثانية. أما الإمام النورسي فنحى منحى التربية والتهذيب والمجاهدة لتحصيل الأخلاق الفاضلة وذلك من خلال القرآن الكريم والسيرة العطرة للنبي الكريم ﷺ.

4. القيم الأخلاقية عند الرجلين العدل أنموذجا.

1.4. عند ابن رشد:

يعرف ابن رشد العدل بأنه: "التوازن بين قوى النفس وقيام كل منها بما هي مؤهلة له، فكذلك الشأن في المدينة: يكون نظام الحكم فيها عادلا إذا تحقق فيها التوافق والتوازن بين طبقاتها بحيث يقوم كل واحد منها بما هو مؤهل له، لا يتقاعس دونه ولا يتعداه" (رشد، الضروري في السياسة، 1998، صفحة 69).

ويرى أن العدالة هي اجتماع متوازن لمجموعة من الفضائل، يقول: "إن العدل في المدينة هو أن تكون كل واحدة من القوى الثلاث، أعني قوة الفهم (العقل والحكمة) وقوة الغضب (الشجاعة) وقوة الشهوة

(العفة) تعمل ما ينبغي، بالمقدار الذي ينبغي، وفي الوقت الذي ينبغي، وبهذا المعنى قلنا إن هذه المدينة حكيمة وشجاعة وعفيفة" (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، الصفحات 2/ 151-152).

لقد شكل "العدل" عند ابن رشد معنى للتوازن والتوافق وضدا للعدوان والظلم، به تحقق السلامة والبقاء (رشد، الضروري في السياسة، 1998، الصفحات 49-77-120). حتى قرر فقيهنا أن سيادة العدل في الزمان، وعدمه له أثر في تغير الأحكام، مثال ذلك ما ذكره في مسألة "القول في لُقَطة الإبل وضمانها على من التقطها". قال رحمه الله: "وأما القسم الثالث: فهو الإبل: أعني أن الاختيار عنده (أي مالك) الترك للنص الوارد في ذلك -يقصد حديث يزيد بن خالد الجهني (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: "اللقطة"، باب: "ضالة الإبل"، حديث رقم: 2427، ومسلم في صحيحه، كتاب: "اللقطة"، حديث رقم: 4498.)- ، فإن أَخَذَها وجب تعريفها، والاختيار تركها، وقيل: في المذهب هو عام في جميع الأزمنة، وقيل: إنما هو في زمن العدل، وأن الأفضل في زمان العدل التقاطها..." (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، صفحة 551/1).

وفي ربط ابن رشد بين الفروع الفقهية بفضيلة العدل، أذكر هنا انطلاقه من فضيلة العدل- التي يجب أن تسود في الأموال والأبدان- لحل الإشكال والاختلاف في علة تحريم الربا، الوارد في الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه عبادة رضي الله عنه: «**سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، و الفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والثمر بالثمر، والملح بالملح إلا سواء بسواء، عينا بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى**» (جامع الصحيح، مسلم بن الحجاج، سنة 1999م كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق، حديث رقم: 1584)، وبعد أن ذكر الاختلاف في علة هذا التحريم بين المذاهب الفقهية يقول ابن رشد :" ولكن إذا تؤمل الأمر من طريق المعنى ظهر - والله أعلم- أن علتهم (الحنفية) أولى العلل؛ وذلك أنه يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا إنما هو لمكان الغبن الكثير الذي فيه وأن العدل في المعاملات إنما هو مقاربة التساوي، ولذلك لما عسر إدراك تساوي الأشياء المختلفة الذوات جعل الدينار والدرهم لتقويمهما ..." (رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، الصفحات 151/2-152)، وبالرجوع إلى كتابة بداية المجتهد يتضح جليا هذا الربط؛ ربطه رحمه الله بين العدل أو ما أسماه ب: "مقاربة التساوي" بعلة تحريم الربا، وهو ربط بين فضيلة من الفضائل وحكم من الأحكام الفقهية العملية. وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

1.4. عند الإمام النورسي.

بالرجوع إلى "إشارات الإعجاز" للإمام النورسي نجده يشترك مع ابن رشد في تحديد مفهوم العدل وهو مفهوم فلسفي، يقول الإمام النورسي: "العدل هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة التي هي أوساط للمراتب الثلاث للقوى الثلاث ...القوة الشهوانية ...القوة الغضبية...القوة العقلية" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 33). غير أنه يضيف أن هذه القوى إنما تضبط وتحدد بالشريعة الإسلامية، يقول رحمه الله "وإن حدّدها بالشريعة، لأنها تنهى عن الإفراط والتفريط وتأمر بالوسط، يصدع عن هذا قوله تعالى: ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾ (هود، الآية: 112). وبعدم التحديد يحصل مراتب ثلاث: مرتبة النقصان وهي التفريط والزيادة وهي الإفراط والوسط وهي العدل" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 33).

كما اعتبر النورسي أن العدالة من المقاصد الأربع الأساس للقرآن الكريم يقول: "فاعلم! أن المقصد الأصليّ في القرآن الكريم إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسات هي: إثبات الصانع الواحد، والنبوّة، والحشر، والعدالة.. " (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 178)، والمتأمل لرسائل النور يجد أن الدعوة إلى العدل كخلق كفيل بإصلاح الفرد والمجتمع حاضرة عند شرحه للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحتشد بكل معاني العدل والأمر به.

مثال ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿**الصراط المستقيم**﴾ (الفاتحة، الآية: 6)؛ يقول الإمام النورسي: "اعلم أن الصراط المستقيم هو العدل" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011، صفحة 33). كما في قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض**﴾ (البقرة، الآية: 11)؛ يقول رحمه الله: "أي لا تفعلوا هكذا، وإلا نشأ الهرج والمرج، فينقطع خيط الطاعة، فيتشوش نظام العدالة، فتنحل رابطة الاتفاق، فيتولد منه الفساد فلا تفعلوا لئلا تفسدوا" (سعيد، كليات رسائل النور، 2011).

كما أن قوله تعالى:﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ (الأنعام، الآية: 164) يمثل بالنسبة للنورسي أعدل دستور في السياسة الفردية والجماعية، "لان العدالة القرآنية لا تهدر دم برئ ولا تزهق حياته حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء..." (خديجة، 1998، صفحة 278). والأمثلة في هذا الصدد يصعب حصرها، وهي تبرز دعوة الإمام النورسي إلى التربية على فضيلة العدل من خلال تفسير القرآن الكريم، وشرح السنة النبوية الشريفة.

5. خاتمة:

وبعد هذه الجولة الماتعة الشيقة مع هذين العلمين الشامخين يمكن أن نستنتج ما يلي:

- ✓ الأخلاق أساس سعادة البشر وسلامتهم، ومتى فقدت حل الشقاء والتصارع والانهيار والدمار، ومن هنا جاءت الأديان لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملة كافة المداخل والوسائل.
- ✓ لا بد في الأخلاق من تحقق هذين الجانبين الجانب النفسي والجانب العملي؛ الجانب النفسي: يتضمن الرسوخ الباطني للخلق والاقتناع بقيمته وفائدته. الجانب العملي: هو الترجمة والثمرة الفعلية للإيمان بالخلق ومحبته والرغبة فيه.
- ✓ شكّل إصلاح الفرد والمجتمع منطلق أساسا في الدعوة إلى الأخلاق عند ابن رشد والنورسي، وعيا بأن التحلي بالأخلاق الفاضلة سبيل رفعة الأمة الإسلامية، وعزتها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخرة.
- ✓ كلا العلمين ينطلقان من منطلق واحد للدعوة إلى تحصيل الأخلاق على مستوى الفرد والمجتمع؛ وهو تأكيدهم على كونها ضرورة مجتمعية تخلق التوازن بين مكوناته وكذلك بين مكونات النفس البشرية، وأن التحلي بالأخلاق الفاضلة هو سبيل رفعة الأمة الإسلامية وعزتها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخرة. وأن غيابها يفسح المجال أمام الرذيلة و الأمراض و الفساد والإفساد.
- ✓ يؤكد ابن رشد رحمه الله أن الفضيلة هي التي تجعل الفرد والمجتمع فاضلا في علاقة مترابطة بينهما،
- ✓ ركز الإمام ابن رشد على المنهج التشريعي في تحصيل الأخلاق والدعوة إليها.
- ✓ وظف ابن رشد الكليات الأخلاقية والقاعدة الخلقية في تأويل بعض النصوص، كما جعل الأحكام العملية خادمة للأخلاق.
- ✓ كان للمقصد الخلقي أثر واضح في الترجيح الفقهي عند فقيهنا وهو يعرض آراء الفقهاء واختلافاتهم ويناقشها ويوازن بينها.
- ✓ الرؤية المركزية للأخلاق نجدها في العديد من رسائل الإمام النورسي؛ يعزو فيها سبب وهن وضعف الأمة الإسلامية في زمانه إلى تخلّيها عن التحلي بالأخلاق والفضائل.

- ✓ ركز الإمام النورسي على المنهج التربوي في تقويم سلوكات الأفراد والمجتمع.
- ✓ استثمر الإمام النورسي رسائله للتربية على الأخلاق من خلال تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

6. قائمة المراجع

1. أبو الوليد ابن رشد. (1994). *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*. مصر،: مكتبة الكليات الأزهرية.
2. أبو الوليد ابن رشد. (1998م). *الضروري في السياسة*. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
3. أبو الوليد ابن رشد. (2001). *تهافت التهافت*. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. أحمد الريسوني. (2010). *الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية*. بيروت: دار ابن حزم.
5. الألباني ناصر الدين. (1995). *السلسلة الصحيحة*. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
6. البخاري. (1996). *الأدب المفرد*. بيروت: دار ابن كثير.
7. البخاري محمد بن إسماعيل. (1987). *الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه*. اليمامة بيروت: دار ابن كثير.
8. النبراوي خديجة. (1998). *دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة*. القاهرة: سوزلر للنشر.
9. النورسي بديع الزمان سعيد. (2001). *الخطبة الشامية*. الدار البيضاء: الأحمدية للنشر.
10. النورسي بديع الزمان سعيد. (2011). *كليات رسائل النور*. مصر: دار سوزلر للنشر.
11. حمادي إدريس. (2007م). *إصلاح الفكر الديني من منظور ابن رشد*. الدار البيضاء – المغرب: المركز الثقافي العربي.
12. خديجة الحريري. (2007). *الفكر الاجتماعي في فلسفة ابن رشد*. مصر: مكتبة مدبولي.
13. مجموعة مؤلفين. (2004). أبحاث المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي 2002 (البحوث العربية) . *العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور*. استنبول – تركيا.: شركة نسل للطبع والنشر.
14. محمد الأمين الشنقيطي. (1971). *أضواء البيان*. بيروت: دار الكتب العلمية.
15. مسلم بن الحجاج. (1999). *جامع الصحيح*. بيروت: دار الفكر.